المرأة في الرواية الواقعية دراسة مقارنة بين ليو تولستوي وكاتب ياسين

The Woman in the Realist Novel: A Comparative Study between Leo Tolstoy and Yassin's Writer

فاطمة جرمون

جامعة عباس لغرور خنشلة

Fatimadjermoune@gmail.com

عمرو عيلان

Tradis40@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/12/04 تاريخ القبول: 2021/02/04

ملخص:

احتلت المرأة مكانة هامة في الرواية، واعتلت عرش الأدب الأوروبي والجزائري على حد سواء، فكانت مادة يتنافس عليها كبار الأدباء رجالا ونساء معبرين عن واقع المرأة داخل المجتمع، وقد اهتمت الرواية الروسية تحديدا بموضوع المرأة فصورتها بمختلف صورها المظلومة والمهمشة والمتمردة والخائنة و المتسامحة والمحبوبة والمضحية، فانفتحت بذلك على عوالم المرأة تعالج قضايا الحب والطلاق وأوضاع المرأة اجتماعيا وجنسيا وثقافيا، كما كان للمرأة في الرواية الجزائرية حضورا قويا عبر فيه الروائيون عن المرأة بجميع جوانبها عن خضوعها واضطهادها ودافعوا عن حريتها وبرعوا في تناول قضاياها المختلفة من خلال أعمالهم الإبداعية، ولعل من أبرزهم الروائي كاتب ياسين الذي اهتم بواقع المرأة كثيرا وكشف عن خبايا وأسرار المرأة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: التأثر والتأثير؛ المقارنة؛ السوسيونصي؛ الجمال؛ الصوراتية.

Summary:

Women occupied an important place in the novel, and ascended the throne of European and Algerian literature alike, as it was a subject competing for senior writers, men and women, expressing the reality of women within society. So, it opened to the worlds of women, dealing with issues of love, divorce, and the conditions of women socially, sexually, and culturally. Also, in the Algerian novel, women had a strong presence in which the novelists expressed the woman in all its aspects of submission and oppression and defended her freedom and excelled in ten And for various issues through their creative work, and perhaps the most prominent novelist writer Yassin, who took a lot of women by revealing the mysteries and secrets of Algerian women.

Keywords: Influence and influence; comparison; sociology; beauty; pictorial

أولا. مقدمة:

شكلت المرأة موضوعا محوريا في الرواية العالمية، نظرا للدور المهم الذي تؤديه في المجتمع، فالعلاقة التي تربط المرأة بالمجتمع علاقة وطيدة، ويكتسي موضوع المرأة أهمية بالغة، كونه يعالج إشكالية مطروحة لطالما تحدثت عن الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، كما استحوذت المرأة على القلوب والعقول، فاحتلت مساحة كبيرة في ميدان

الأدب، وفي حقل الرواية تحديدا، حيث ساهم الروائيون بآرائهم متناولين قضية المرأة، كل بطريقته الخاصة. من هؤلاء الأدباء في الرواية الروسية نجد: ليو تولستوي (Leo Tolostoy) وفي الرواية الجزائرية نجد: كاتب ياسين، حيث برع كل منهما في تناول قضية المرأة بمختلف مجالاتها؛ وقد وقع اختياري على روايتي نجمة وآنا كارنينا لأجل معرفة خبايا كل من المرأة الجزائرية والروسية، متبعة في ذلك دراسة مقارنة تقوم على رصد أوجه التشابه بين الروايتين في تجسيدهما لصورة المرأة، فيا ترى كيف جسد كل من كاتب ياسين وتولستوي واقع المرأة من خلال الرواية؟ وما مدى أوجه التشابه والاتفاق بين ما جاء به الأدباء الجزائريين والروس حول هذه القضية الحساسة؟

ثانيا. المرأة في الرواية الجزائرية: جسدت لنا الرواية الجزائرية قضية المرأة في مختلف مجالات الكون، بل إن صورة المرأة في الرواية تعدت وجودها الفردي لتعبر عن حقائق الوجود؛ كأن تكون رمزا للنوع الأنثوي أو لشريحة اجتماعية خاصة، كان الروائي الجزائري يسعى إلى إظهار المرأة كإنسان حر فاعل في بناء وطنه شأنها في ذلك شأن الرجل، والدكتور محمد مصايف يؤكد هذا حين قال: "المرأة في روايتنا لا تقوم بدور الخليلة التابعة كما كان الشأن غالبا في الأعمال الأدبية ذات النزعة الرومانسية أي لا تقوم بدور الخادم للرجل، والمسلي له بل تضطلع تماما مثل الرجل، بدور نضالي ويكفي أن تقرأ ريح الجنوب والشمس تشرق على الجميع، لتقتنع بهذه الحقيقة، فالثورة الجزائرية لا تقوم على عنصر الرجل وحده، بل تقوم عليه وعلى عنصر النساء."[1] يطلعنا محمد مصايف بهذا القول على الدور الفعال الذي يلعبه العنصر النسائي في الرواية العربية الجزائرية. وتلك المكانة الهامة التي لا تقل عن مكانة الرجل شأنا، فأصبحت المرأة شخصية بطلة في الروايات التي يكتبها الرجال، سيطرت على القلوب قبل العقول، سواء أكانت أما أو أختا، أو زوجة أو حبيبة، تعيش وضعا "انتقاليا بين ذاتها، وبين وضعها ووضع آخر تتطلع إليه، وبين مجتمعها كما هو، فهي تعني هذا الانتقال، وتكافح من أجله."[2] فهذا الانتقال من شخصية مهمشة، إلى شخصية تحارب وتكافح من أجل إبراز مكانتها، كان له حضور داخل الرواية الجزائرية العربية، "إن مقدرة الكاتب الخارقة تخلقها في كل مرة خلقا جديدا."[3] كانت نظرته إلى المرأة في البداية نظرة تقليدية محافظة، لا تتجاوز قضية الحجاب والطلاق والزواج المبكر وغيرها من القضايا التي عانت منها المرأة بسبب القوالب التقليدية البالية، وخير مثال على ذلك: "ريح الجنوب" لابن هدوقة 1971، "الحريق" لنور الدين بوجدرة 1957، "العشق والموت في زمن الحراشي" للطاهر وطار 1982 و"غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو 1947، وغيرهم من الروائيين الجزائريين الرجال الذين برعوا في تصوير المرأة الجزائرية، وبعد أن كانت مجرد شخصية أو موضوع يكتب عنه الرجل، حملت القلم وقررت أن تكتب روايتها بنفسها، رغم تأخر الكتابة النسوية في الجزائر، بسبب العامل

الاستعماري والتقاليد الاجتماعية البالية، التي كانت لا تحفز المرأة على الكتابة، استطاعت بفضل نضجها ووعيها، أن تدخل إلى حقل الإبداع والكتابة، لتحطم جدار الصمت القاتل، مما خلق لهذا الفن الأدبي نوعا خاصا، برزت فيه المرأة البطلة والكاتبة معا، وتؤكد بثينة شعبان هذا بقولها: "قد حاولت الروائيات العربيات تحرير المرأة من كونها كما حاولن تثقيف الرجال حول الأبعاد الفنية بين الجنسين إيجابيا على كل منهما."[4] لأن المرأة تستطيع أن تعبر عن ذاتها أفضل من الرجل بكثير، وتؤكد جميلة زنير ذلك بقولها "أن هناك تجربة نسائية ولكنها ضئيلة إذا ما قيست بالتجربة الرجالية، ولست أدري لما تحجب المرأة عن السير في درب الأدب، أعرف الكثيرات يكتبن الجيد، ويحتفظن به في الأدراج."[5] يرجع هذا للأعراف والتقاليد البالية، التي تحرم على المرأة حمل القلم والإبداع، كانت أولى المحاولات مع زهور ونيسي على صفحات البصائر العربية، فلها عدة أعمال أدبية رائعة نذكر منها: "الثوب الأبيض"، "يوميات مدرسة حرة" 1978، "لونجة والغول" 1996 ثم توالت الكتابات على يد مجموعة من الأديبات أمثال: زليخة السعودي، في "عرجونة"، وزهرة ديك في "بين فكي الوطن" 2000، وياسمينة صالح، وزينب الإبراهيمي وغيرهن، وهناك الكاتبة الجزائرية التي كتبت باللغة الفرنسية أمثال آسيا جبار في أعمالها الروائية نذكر منها: "العطش" **Le Soif** 1957، "الجزائر البيضاء" Le Blanc de l'Algérie 1995، "القبرات الساذجة" Les Aloutte naives 1967، التي رفعت شعار المرأة المقموعة، وعبرت عن إنسانيتها، وبعد ذلك تطورت الرواية النسائية، وبلغت نضجها على يد الروائية أحلام مستغانمي؛ التي اخترقت الثالوث المحرم "الجنس والدين والسياسة" ومن بين ما كتبت؛ "ذاكرة الجسد" 1993 التي صدرت عن دار الآداب للنشر ببيروت، وقد بيع منها حتى الآن أكثر من ثلاثة ملايين نسخة، والحائزة على جائزة نجيب محفوظ لعام 1998، وروايتها "فوضى الحواس" التي صدرت سنة 1997 عن دار نوفل للنشر ، كما أن هناك فضيلة الفاروق التي كتبت لتحرر المرأة من قيود الماضي، وطرحت قضايا الحب والاغتصاب والزواج، من أعمالها الروائية "تاء الخجل" التي صدرت سنة 2003 عن دار رياض الريس للنشر ببيروت، وروايتها "مزاج مراهقة" الصادرة سنة 1999 عن دار الفارابي للنشر بيروت، وخلق هذا الأمر نزاعا بينها وبين الرجل، وصار هناك صراع كبير بين الأدب الذي يكتبه الرجل، والذي تكتبه المرأة بين مؤيد ومعارض من طرف النقاد، فهذا محمد فوزي لا يجد فرقا بين ما يكتبه الرجل وما تكتبه المرأة يقول: "في رأيي أن الأدب ليس له جنس، كما أن المشاعر الإنسانية ليس لها خريطة، ولا توجد تفرقة بين ما يكتبه الرجل أو المرأة."[6] لأنه يعتبر المرأة كاتبة ومبدعة مثل الرجل، ولا فرق أبدا بين ما تكتبه هي وبين ما يكتبه الرجل.

نلاحظ من خلال التطور الفني لصورة المرأة في الرواية، سواء كانت المرأة الثورية أو الأسطورية أو التراثية.. أن الروائي كان يسعى إلى إظهار المرأة كإنسان حر، يسهم في بناء الوطن على قدم المساواة مع الرجل، لأن تجربتها أخصب التجارب في المجتمع، كما أن سمات التعبير تنعكس عليها، فالمرأة مرتبطة بالواقع، وهي حاضرة في مختلف مشارب الحياة، كما أنها رمز للمجتمع شغلت فكر العلماء، تعكس حضورها القوي في مجال الفكر والأدب.

ثالثا المرأة في الرواية الروسية: يعتبر موضوع المرأة من أغنى الموضوعات، وأكثرها حضورا في الآداب العالمية، والأوروبية تحديدا؛ حيث لا يكاد يخلو أدب من الآداب الأوروبية من موضوع المرأة، وخاصة أدباء الواقعية، والواقعية النقدية تحديدا والمتأمل في أدب أونوريه دي بلزاك، (Honoré de Balzac) وغوستاف فلوبير، (Gustave Flaubert) أو فيودور دوستويفسكي، (Fiodor Dostoievski) وليو تولوستوي، (Leo Tolostoy) أو تشارلز ديكنز، (Charlzs Dickens) يلاحظ أنه لا يكاد يخلو عمل من أعمالهم، من الحديث عن المرأة، فصوروا المرأة بشتى صورها؛ المقهورة والمتمردة والعاهرة والخائنة وغيرها.. نجد الكثير من الأعمال الروائية، التي اهتمت بموضوع المرأة، وخاصة تلك التي تصب في مضمار الواقعية النقدية، والتي ترمي إلى تسليط الضوء على واقع ووضع المرأة، وما تعانيه في المجتمع، نتيجة الواقع المزري، الذي فرض عليها السير في هذا الطريق أو ذاك، حيث حظيت المرأة باهتمام كبير في الأدب الروسي، الذي عرف أوجه مع مطلع القرن التاسع عشر، فأنجب العديد من العباقرة، الذين كتبوا أدبا يتجاوز حدود روسيا، ليصير أدبا عالميا، منتشرا في شتى أنحاء العالم، ولعل من أبرز هؤلاء ليو تولوستوي، الذي عبر في روايته "آنا كارنينا" (Anna Kareninna 1877) عن نماذج بشرية متنوعة، وخاصة المرأة التي صورها لنا في مختلف تجلياتها، على اختلاف حالاتها وعلى جميع الأصعدة، فيا ترى كيف جسد تولستوي صورة المرأة الروسية من خلال روايته آنا كارنينا؟ وما مدى وجه التشابه بينه وبين رواية "نجمة" (Nedjma 1956) للروائي الجزائري كاتب ياسين؟ وهل وفق الأديبان في التعبير عن واقع المرأة بكل صدق وموضوعية من خلال الرواية؟

رابعا. تقديم الروايتين:

1. ملخص رواية آنا كارنينا (Anna Kareninna 1877): بالروسية (Анна Каренина) أثر أدبي عالمي وإنساني خالد، ترجم إلى معظم لغات العالم، وأعيد طبعه مئات المرات، للروائي الروسي ليو تولستوي، هي رواية لعائلة روسية، ترسم لنا صورة واسعة للواقع الروسي، في القرن التاسع عشر، حيث تسجل هذه الرواية الملامح الاجتماعية والعقلية، التي تميز هذه الفترة، "آنا كارنينا" رواية اجتماعية تتحدث عن عائلة "كارنين" زوج "آنا" امرأة حسناء شابة، تصغر زوجها بعشرين سنة، لها ابن يدعى "سيرج" في الثامنة من عمره، كانت "آنا" تعيش مع زوجها

"كارنين" في جو يفتقر إلى الحب والتفاهم، صادفت "آنا" ذات مرة ضابطا يدعى "فرونسكي" فأعجبت به وأعجب بها، على الرغم من أنها متزوجة وأم إلا أنها وقعت في الحرام، حاولت "آنا" إخفاء هذا الشعور على زوجها، وعلى المجتمع، لكن عشقها "لفرونسكي" يدفعها بجنون إلى الاعتراف لزوجها "كارنين"، وبذلك تضحي هذه المرأة "آنا" بابنها وزوجها وبيتها لأجل العشق، حيث رمت بها أهواؤها ورغباتها في زوايا مجتمع حكم عليها بالمهانة والاحتقار. فلا تجد "آنا" المرأة الحسناء، والزوجة الخائنة، غير الانتحار كمهرب للخلاص من حياتها التي أصبحت بلا معنى.

2. ملخص رواية نجمة لكاتب ياسين (Nedjma 1956): صدرت هذه الرواية عن منشورات «لوساي» الباريسية عام 1956، كانت العمل الأول الذي أطلقه كاتب ياسين في فضاء الحياة الأدبية، وقد ترجمها إلى العربية السعيد بوطاجين، عن منشورات الاختلاف، ومنشورات ضفاف بالجزائر، تعد رواية "نجمة" لكاتب ياسين، من أهم الأعمال الإبداعية التي ظهرت في الأدب الجزائري الحديث سنة 1956، إذ نالت إجماع النقاد –الغربيين والعرب-على حد سواء، بتميزها وتفردها كعمل إبداعي في عالم الرواية، تدور أحداثها أيام الاحتلال الفرنسي، قبل وأثناء و بعد حوادث 8 ماي 1945 يبحث الكاتب في روايته "نجمة" عن الموطن الأم، مبينا إياه في شخصية هي امرأة يسمها "نجمة" وتصبح الجزائر حقيقة مجسدة، التي جاءت من صلب جزائري -أب جزائري –و رحم فرنسية –أم فرنسية – عشقها أربعة أصدقاء، تنافس اثنان منهم منافسة انتهت بصراع احدهما في ليلة ميلاد نجمة، و بقى الآخر أبا مجهولا لهذه الفتاة التي أحبها و عشقها أربعة أصدقاء (رشيد، و مصطفى، لخضر ومراد) حيث تجمعهم روابط الدم، تتقاطع دروب حياتهم، كذلك هم أبناء عمومة، ومن أصل "كبلوتي" واحد لكل قصته مع الحياة، و بحثه عن طريقة للعيش على الهامش، بلا أمل حقيقي في العثور على حرية ممكنة، في ظل وضع كولونيالي يحرمهم من العيش بكرامة.

خامسا. واقع المرأة بين رواية آنا كارنينا لليون تولستوي ونجمة لكاتب ياسين:

1. المرأة المهانة والمهمشة: لعبت المرأة في الرواية الروسية دورا هاما، وقد جسد الروائي ليو تولستوي في رواية آنا كارنينا المرأة المهانة والمهمشة بقوله: "شاع في قلبها الحزن وشعرت بالمهانة، وأحست بتقوض الآمال، وجهرت بغرمها على صد زوجها عنها والإفراد بعيشها، وكأنها لم تبعل ولم تنجب أولادا."[7] شعرت داريا بالمهانة والذل جراء خيانة زوجها لها، ويضيف: "أنا واثقة أن صديقاتك جميعهن سيتجنبن زيارتك ولن تعود المياه إلى مجراها قبل وقوع الطلاق وحدوث ما يضفي على علاقتك بفرونسكي صفة قانونية، وذهبت بيتسي من بيتها كأنها تفر من خطر مريع."[8] يبين الروائي هنا أن الخيانة الزوجية، من أخطر الأمور التي تزيد من إهانة المرأة، فآنا هجرت زوجها الطيب وهربت رفقة عشيقها، دون أن تكون بينهما أي علاقة شرعية، مما سبب لها الإهانة وزاد من احتقار الجميع لها

حق صديقاتها، ويضيف موضحا ذلك "آنا لفضتها المجتمعات."[9] فقد حكم عليها بالمهانة والاحتقار، وتعرضت لرفض المجتمع، ولكن بعد أن أهانت نفسها بنفسها يقول: "رضيت لنفسها أن تمرغ كبرياءها في الوحل."[10] لطالما بدت المرأة في الرواية الجزائرية في معظم الأحيان مهمشة، منكسرة، وضعيفة خاضعة لسلطة الرجل، وهكذا صور كاتب ياسين المرأة في روايته نجمة، وخص هذه الصورة تحديدا بالمرأة الريفية، حيث كان الجهل أحد أهم الأسباب التي أدت بها إلى هذا التهميش، فكل من زهرة وأم لخضر ووردة وأم مصطفى، تعرضن لكافة أنواع الظلم والتهميش، من قبل أزواجهن، حيث هجر والد لخضر زوجته، وأرسلها إلى قرية بعيدة، في أحد جبال عنابة وكانت حاملا بابنها لخضر، ولم يهتم لأمرها ولا حتى لابنه، وذلك كان حال وردة، التي هجرها زوجها مدة طويلة من الزمن، ولكنه عاد إليها بعد أن وضعت ابنتها الصغرى، ولم يكن ما عانته المرأة الجزائرية في الرواية، التهميش فقط، بل عانت أيضا من العنف والضرب، على يد زوجها وهو ما تحدث عنه الروائي على لسان مصطفى، وهو يروي حادثة تعرض والدته للضرب من طرف زوجها، وهي لا تزال نفساء "لأن النفساء رفضت القيام بالعمل، إذا لم تتلقى ثوبا من المخمل لتحتفل باليوم السابع لولادتي، فتحطمت مرآة والخزانة، وتصدع عظم والدتي."[11] لأن المرأة حينها؛ كانت تعامل كخادمة عليها القيام بكل واجباتها، دون أن يكون لها الحق في الرفض أو طلب شيء ما، فلم تعامل كإنسان أبدا، ولذا تعاني التهميش والضرب، وكافة أنواع التعذيب دون رحمة ولا شفقة.

2. **المرأة المتمردة:** جسد تولستوي صورة أخرى للمرأة في هذه الرواية، وهي المرأة المتمردة والغاضبة، التي تفقد أعصابها بسبب ما يحدث حولها، وما تتعرض له يقول: "فلما أعطى لها الخادم البرقية لم تعنى بقراءتها بل قالت إنها مرتحلة، إن الحياة في المنزل لن تروق لها بعد اليوم."[12] حين تتعرض المرأة للخيانة والغدر، من أقرب الناس لها، تتحول إلى امرأة ثائرة، تقول داريا لزوجها "أغرب عن وجهي اذهب غادر الغرفة ولا تحدثني عن نزواتك وسقطاتك، لا تحدثني عن مجونك وفسقك."[13] لم تعد تطيقه، ولا ترغب في رؤيته ولا حتى سماع صوته، لأن أفعاله الشائنة جعلته يسقط من عينها، فلا عذر مقبول بعد اليوم، لا تقل حالة المرأة الجزائرية سوء عن نظيرتها الروسية، فالمرأة تبقى امرأة في كل مكان، وعندما تحرم من حقوقها وتسلب كرامتها؛ ينفجر البركان الخامد في نفسها، فتتمرد على زوجها وحتى على مجتمعها، وتكسر قيود العادات والتقاليد البالية، التي تأسرها وتخنقها، وهاهو كاتب ياسين، يصور حالة نجمة المرأة الثائرة والمتمردة، حيث كان زوجها أول من طاله تمردها، وذلك من ناحية التعامل معه، "بهمهمات متذمرة تجيب نجمة على أسئلة كامل، إنه رجلها بصورة عامة بلطف مشوب بالهزء والسخرية."[14] كانت نجمة تتوعد دائما من حولها بالانتقام لنفسها، ولحريتها، وذلك في حوار داخلي: "سأحتفظ بهم في سجني،

ماداموا يحبونني وستكون الكلمة الأخيرة للسجينة مهما طال الزمن."[15] تعتبر نفسها سجينة في بيت زوجها، وأول ما يفعله السجين هو التمرد على وضعه ومحاولة الهروب، وكذلك فعلت نجمة، حيث هربت مع أبيها ورشيد، ولم تفكر في زوجها أو في أمها، بل كان همها الهروب من هذه الحياة المملة، وحق وهي بعيدة، كانت تبتعد عن كل ما يذكرها بزوجها يقول رشيد: "لقد رجتني أن أنقطع عن العزف في حضورها، لأن ذلك يذكرها بزوجها."[16] وقد وصل بها التمرد إلى حد الشراسة والعنف، وهذا رشيد كثيرا ما كان يراها غولة قاتلة "نجمة الغولة ذات الدم القاتم."[17] بل يرى أنها أصبحت على ما هي من تمرد؛ لأنها في أصلها شرسة ومتمردة "كانت نجمة في حقيقتها متوحشة."[18] تحولت الثورة الداخلية والمشاعر المكبوتة داخل نجمة، إلى حقيقة وواقع اجتماعي ملموس.

3. المرأة اليائسة والحزينة: تتبلور في رواية آنا كارنينا صورة أخرى للمرأة؛ وهي المرأة اليائسة والحزينة، وقد جاءت في الرواية صور عدة لهذا النوع: "إن مؤاساتي على ما جرى أمر عسير دونه فرط القتاد، فقد ضاع كل شيء وخبا الأمل وغابت السعادة."[19] هذه المرأة أصبحت فاقدة للأمل تماما وذلك نتيجة كل ما تعرضت له من معاناة ومشاكل مع زوجها، ويضيف: "لقد تجمد شعوري وتحجر إحساسي ولم يبق لي غاية ولم يبق لي هدف."[20] فهنا قصدت أنها لا ترغب في العيش، ولم يبق لها أي أمل مع هذا الزوج الخائن، ويضيف في موضع آخر على لسانها دائما "على أني لا أجد إلا السدود والقيود ولا إلا الظلمات متراكمة فهل لي من دوحة عن الموت، أليس الموت خلاصي من شقائي وعذابي."[21] فبسبب الهموم والمشاكل وتعقد الأمور من حولها، أصبحت ترغب في الموت لأجل الخلاص من عذابها وألمها، ويتكرر ذكر فكرة الموت في الرواية في أكثر من موضع يقول "راودتها فكرة الموت."[22] فهي تفكر في الانتحار من شدة بأسها وقنوطها، ويذكر لنا الروائي حزن آنا الكبير ، وهي تعيش مع رجل وقلها ملك لآخر يقول "سالت من مقلتها دمعة محرقة."[23] كما صور لنا حزن الأم بعد فراقها عن ابنها "ترقرقت الدموع في مقلتي آنا، فنكست رأسها وظهر عليها التردد."[24] ويضيف في موضع آخر "فلما همت واقفة وانسحبت شعرت أنها تركت مهجتها في حجرة الظلام."[25] فرؤيتها لابنها للمرة الأخيرة سبب لها حزنا وألما كبيرين، عاشت آنا حزنا أليما، بسبب ما اقترفت من خطأ، خانت زوجها وتركت ابنها لتركض وراء شهواتها، وإذا ذهبنا إلى رواية نجمة، نرى كاتب ياسين يصور لنا حالة الحزن والاكتئاب، الذي انعكس على نفسية نجمة، بعد اصطدامها بالواقع المرير، تزوجت بغير رضاها، من رجل لا تحبه أبدا، ولم ترى في هذا الزواج ما يحقق أملها وأحلامها "إذا نظرنا إلى موقف المرأة بالنسبة إلى الزواج يعني في نظر المرأة أكثر مما يعني في نظر الرجل، وذلك لأن المرأة تعلق الكثير من الآمال على الزواج."[26] كانت نجمة دائما غير

راضية بهذا الزواج، الذي أجبرت عليه، ولم تستطع رفضه، وذلك بسبب سلطة العادات والتقاليد، جعلها هذا تعيش حالة مزرية من الحزن والاكتئاب الدائمين.

4. المرأة الخائنة: إذا تأملنا رواية أنا كارنينا، نلاحظ أن الخيانة هي الموضوع الذي طغى على الرواية، وقد أورد لنا الروائي العديد من مظاهر الخيانة، وبين ذلك في الكثير من المواقف يقول: "أنا بعيدة كل البعد عن زوجها ومشاعرها، وأفكارها إنها تعيش في منأى عنه لا يصلها به إلا رابطة الزوجية وأما العاطفة فليس لها في قلها وجود فهي لا تحبه، ولن تحبه."[27] تعيش مع زوجها بجسدها فقط، ولكن قلها ومشاعرها ملك لعشيقها المدعو فرونسكي، ويقول في موضع آخر "لما دنا منها زوجها رمقته بنظرة فاحصة، ورأت أذنيه وكأنها تراهما لأول مرة في حياتها، وتساءلت متعجبة عن سبب بروز هاتين الأذنين، وصرامة هذا الوجه وافتقار زوجها إلى الوسامة والقسامة، إلا أنها لم تعرف كنهه قبل اليوم، أو على الأصح لم تحدس حقيقته إلا بعد الاتصال بفرونسكي،"[28] فهي امرأة خائنة وماجنة، تقارن بين زوجها المخلص العفيف وبين عشيقها الخائن مثلها، أدركت أن زوجها يفتقد للوسامة بعد أن تعرفت على عشيقها فرونسكي. كما نجد الكاتب يبين لنا وجها آخر من أوجه الخيانة بقوله: "وأنصتت دون انتباه إلى خطوات فرونسكي المبتعدة، وشعرت أن قلها يرافقه، وأن روحها عصت جسدها وعقلها وانتزعت فرعا من جذرها، لتلحق بروحه وتصحب روحه، وتواكب هذه الروح الحبيبة."[29] وقد تردد في الرواية خيانة المرأة لزوجها بكثرة "على مفترق طريقين ألقت آنا نفسها إلى اليمين طهر وعفة ونقاء، وإلى اليسار فحش ودنس ورجس."[30] فهذه المرأة وجدت نفسها في مفترق الطريق، إما أن تسلك طريق العفة والطهارة، وتبقى الزوجة الصالحة، أو تسلك طريق الرذيلة والفسق، وهناك العديد من المشاهد، التي صور فها الروائي مواقف خيانة آنا لزوجها، وهي تقوم بذلك بكل وقاحة وقلة حياء، يقول "أمسكت هي بيده ولم تبد حراكا، رفعت يده إلى شفتها وقبلتها."[31] ركز تولستوي اهتمامه على هذه الظاهرة التي تفشت بشكل ملحوظ في تلك الفترة "مق هجرته وغادرت بيته؟ هل أقيم معك كعشيقة؟ كخليلة، أجل، أهجره، فأنتقل من بيت الزوج إلى بيت العشيق."[32] تنازلت آنا عن بيت زوجها، بيت الشرف والعفة وانتقلت إلى بيت المهانة والمذلة، وقد برع تولستوي في تصويره للواقع الاجتماعي للمرأة الروسية يقول: "كانت تحلم كل ليلة أن الرجلين أصبحا زوجها، وأنهما يتقاسمانها ويتمتعان بمحاسنها."[33] يرصد لنا، كيف تخلع المرأة الخائنة عن نفسها ثياب الطهر والعفة، لتلبس ثياب العهر والدناءة. تعد الخيانة الزوجية، أحد المظاهر الغير أخلاقية البارزة في رواية نجمة، وتكاد تسيطر على معظم الشخصيات النسوية الواردة في الرواية، من خلال لالة نفيسة، ونجمة، وتطرق أيضا الروائي إلى المرأة الفرنسية الخائنة، والتي تمثل أم

نجمة الحقيقية، التي خانت ثلاث رجال على التوالي يقول "لقد اختطفت ثلاث مرات، تلك الفريسة السهلة."[34] ولكن الفرق بين المرأة الفرنسية والجزائرية تكمن؛ في أن المرأة الفرنسية كانت خائنة على مرأى من الناس، أما المرأة الجزائرية فكانت عشيقة في الخفاء يقول: "ولو كنا في أوقات غير هذه لأنقذتني عشيقاتي وحدهن، ولكنهن ضدي، هؤلاء الأزواج المخدوعين."[35] المرأة الجزائرية كانت خائنة في الخفاء، وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على علمها التام، بأن ما تقوم به أمر مناف للأخلاق والقيم والمبادئ، ولكنه جعلها هنا لأسباب اجتماعية واقتصادية، أدت بها إلى ارتكاب هذه الأفعال الشنيعة، لتساعد زوجها على ظروفه الصعبة، وليست خائنة بهدف المتعة والفجور، كما رأينا في الرواية الروسية. "فكانت نساء الموظفين الصغار يجتزن البحر في الاتجاه المعاكس، ويعرضن أنفسهن للبيع في زوايا الحدائق."[36] إنها ضحية استعمار غاشم، وأوضاع اقتصادية صعبة تعيشها.

5. المرأة المتسامحة: أبدع تولستوي في رواية آنا كارنينا، في إعطاء صور كثيرة ومتعددة للمرأة ، ونتطرق هنا إلى المرأة المتسامحة؛ تلك التي تعفو وتغفر للجميع يقول: "فأنا أعفو"[37] تصرح داريا عن نفسها المتسامحة وتضيف "أجل أستطيع أن أعفو وأستطيع أن أزاول حياتي كأن شيئا لم يحدث قط، إذا صفح الإنسان وجب عليه أن ينسى الإساءة برمتها."[38] تبرز هنا قوة المرأة المتسامحة، التي تكمن في قدرتها على العفو والصفح، والاستمرار بحياتها ونسيان كل ما عانته مع زوجها، من ظلم وقهر وخيانة زوجية، وتقول في موضع آخر: "ألم يفعل زوجي ما فعلته آنا بك... وصممت أن أبتعد عنه وأهجره، ولكن آنا جاءت مهرعة وحدثتني حديث الرحمة، ففئت إلى نفسي، وثاب رشدي، وأنقذت بيتي من الدمار، لقد صفحت وعفوت."[39] فالمرأة تعفو وتسامح؛ لأجل الحفاظ على أسرتها من الدمار والضياع، حتى لو كانت مظلومة، هذه الصورة نجدها في رواية نجمة، من خلال شخصية أم مصطفى، تلك المرأة التي حافظت على أخلاقها، وصانت زوجها، وحافظت على شرفه وعرضه، واحترمته إلى أقصى الحدود، بل كانت متسامحة معه كثيرا، حتى لو كان ذلك على حساب كرامتها، فهي تقابل قسوته وعنفه نحوها، بالصبر والتسامح، فالتسامح أسمى الأخلاق التي يمكن للمرء أن يتصف بها، يقول مصطفى: "لقد غفرت أمي كل شيء دون أن تثير مشاكل، أعدت في المساء نفسه كسكسا هائلا، وهي تنتصب بثبات على شظيتها المصابة."[40] هذه أنبل صورة معبرة عن حسن أخلاق أم مصطفى، وعفوها وتسامحها، رغم كل ما تعرضت له من خيانة وظلم وقسوة، قابلته بالتسامح والعفو، وهو إن دل على شيء، فهو يدل على قوة المرأة الجزائرية، وليس على ضعفها لأن المقدرة على العفو، لا تتاح لأي كان وليس بإمكان أي شخص، أن يقوم بها بل تكون عند ذوي الأرواح العفيفة الطاهرة، القوية فقط.

سادسا. الخاتمة:

ترتبط صورة المرأة بالواقع المعيشي، وتتجاوزه إلى جوانب مثالية ورمزية فالصورة العامة للمرأة هي صورة فكرية وفنية في الوقت نفسه، ومن خلال بحثي هذا توصلت إلى جملة من النتائج وهي:

-أنا كارنينا رواية جمعت بين أوراقها شخصيات نسائية، مثلت الصورة الحقيقية للمرأة في المجتمع الروسي.

- المرأة الجزائرية كان لها مكانة كبيرة في الرواية، و اهتمت بكل جوانبها الحياتية، النفسية والاجتماعية، وقد أبدع كاتب ياسين في رواية نجمة في تقديم الصورة المتكاملة للمرأة الجزائرية.

- ومن خلال مقارنتنا بين الروايتين، رصدنا العديد من نقاط التشابه والالتقاء بين واقع المرأة في البيئة الجزائرية والبيئة الروسية، حيث مثلت الروايتين جوانب هامة من شخصية المرأة.

-فبرزت المرأة الخائنة، كصورة طاغية على كلا الروايتين، من خلال شخصيات رواية نجمة، متمثلة في لالة نفيسة ونجمة، وفي آنا كارنينا ممثلة في آنا، والذي كان سببه الجانب الأخلاقي من جهة، والاجتماعي من جهة أخرى، وهو الفقر والحاجة بالنسبة للمرأة الجزائرية، والركض وراء الأهواء والشهوات عند المرأة الروسية.

- كما رأينا عدة نماذج عن المرأة، منها المرأة المقهورة والمهمشة، التي تتعرض للظلم والقسوة والضرب أيضا، والمرأة المتمردة، التي يدفعها غضبها وسخطها على وضعها وحالتها المزرية، التي فرضت عليها، إلى التمرد والغضب، والمرأة اليائسة والحزينة، وهناك جوانب مشرقة مثلتها المرأة المتسامحة؛ التي تعفو وتصفح وتمضي في حياتها بنسيان كل ما تعرضت له، من إساءة وظلم، كما رأينا المرأة الحزينة واليائسة، التي كانت تعيش أوضاعا مزرية في أغلب الأحيان، لذا فهي دائما إما حزينة أو مكتئبة، مما أودى بها إلى الجنون أو الانتحار ، بسبب كل ما مرت به من ضغوطات اجتماعية، واقتصادية وسياسية أيضا.

وبهذا عكست لنا هاتين الروايتين، تلك الصورة المصغرة عن مجتمع أنثوي كبير، وإن اختلفت مكانها أو ديانتها، أو معتقداتها، فهي تظل تشترك في نفس الخصائص والصفات، في كل مكان، ولذا فهي تتجاوز حدود المكان والزمان أيضا، لأن المرأة تبقى امرأة أينما حلت، تصيب وتخطئ، تحب وتكره، تتمرد وتعفو، لأنها تبقى في النهاية إنسان.

الهوامش:

1) محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، د.ط، 1983، ص 312.

2) محي الدين صبحي، أبطال في الصيرورة دراسات في الرواية العربية والمعربة، ط1، دار الطليعة، ط1، 1980، ص5.

3) محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية، أصولها واتجاهاتها وأعلامها، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993، ص 273.

4) بثينة شعبان، 100 عام من الرواية النسائية العربية، دار الآداب، د.ط، بيروت، 1999، ص 69.

5) يمينة عجناك، الكتابة النسائية في الجزائر وإشكاليتها قضية المرأة في كتابات زهور ونيسي أنموذجا، في الواحات للبحوث والدراسات، الجزائر، ع 9، 2010، ص 29.

6) لوسي يعقوبي، لغة الأدب والشعر في كتابات المرأة العربية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، مصر، 2001، ص 04.

7) ليون تولستوي، أنا كارنينا، تر إيميل بيدس، دار العام للملايين، ط9، 2009، ص 17.

8) المصدر نفسه، ص: 281.

9) المصدر نفسه، ص: 282.

10) المصدر نفسه، ص: 286.

11) كاتب ياسين، نجمة، تر ملكة أبيض عيسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 269.

12) المصدر نفسه، ص: 23.

13) المصدر نفسه، ص: 33.

14) كاتب ياسين، نجمة، تر ملكة أبيض عيسى، ص 103.

15) المصدر نفسه، ص: نفسها.

16) المصدر نفسه، ص: 184.

17) المصدر نفسه، ص: 233.

18) المصدر نفسه، ص: 240.

19) ليون تولستوي، أنا كارنينا، تر إيميل بيدس، ص 82.

20) المصدر نفسه، ص: 250.

21) المصدر نفسه، ص: 248.

22) المصدر نفسه، ص: 353.

23) المصدر نفسه، ص: 189.

24) المصدر نفسه، ص: 306.

25) المصدر نفسه، ص: 293.

26) زكريا إبراهيم، سيكولوجية المرأة، دار مصر للطباعة، د.ط، ص 114.

27) ليون تولستوي، أنا كارنينا، تر إيميل بيدس، ص 106.

28) المصدر نفسه، ص: 104.

29) المصدر نفسه، ص: 108.

30) المصدر نفسه، ص: 137.

31) المصدر نفسه، ص: 141.

32) المصدر نفسه، ص: 158.

33) المصدر نفسه، ص: 142.

34) كاتب ياسين، نجمة، تر ملكة أبيض عيسى، ص 144.

35) المصدر نفسه، ص: 52.

36) المصدر نفسه، ص: 144.

37) ليون تولستوي، أنا كارنينا، تر، إيميل بيدس، ص 83.

38) المصدر نفسه، ص: 83.

39) المصدر نفسه، ص: 227.

40) كاتب ياسين، نجمة، تر ملكة أبيض عيسى، ص 269.